

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، ذى العظمة والجبروت ، والملك والملكوت ،
الذى أنشأنا من الأرض نَسَمًا ، ويسر لنا منها أرزاقاً وقَسَمًا ، واستعمرنا فيها
أجيالاً وأممًا ، فقال عز من قائل : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ
فِيهَا ﴾ (١) وقال جل ذكره : ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *
الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ
مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ
قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) ، وقال أيضاً : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا
فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٣) .

ثم الصلاة والسلام على أشرف موجود وأطهر مولود ، سيدنا محمد النبي
الأمين ، الذى اختصه ربه بالكرم والجود ، ورضى الله عن الصحابة والتابعين ،
ومن تبعهم بإحسان وأمان إلى يوم الدين . وبعد ...

فإن هذا الكون الذى نعيش فيه ، على رحابة أرجائه ، وسعة أقطاره ،
أرض ذات فجاج ، وسماء ذات أبراج ، وبحار ذات أمواج ، قد خلقه الله
بقدرته ، وأبدعته يدُ عنايته ، آية فى الكمال ، وغاية فى الإنقان والإحكام ،

قال تعالى :

(١) سورة هود : ٦١ .

(٢) سورة السجدة : ٦-٩ .

(٣) سورة الملك : ١٥ .

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٢) وقال: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ (٣).

وكما أن هذا الكون مخلوق لله ومربوب له ، فهو مسخر بقدرته لبنى الإنسان ، يقول الفتاح العليم : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْتَجَرَجُ بِهِ مِنَ الشَّجَرِ رِزْقًا لَّكُمْ وَخَسَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَخَسَّرَ لَكُمُ الْوَلَدَ وَالْقَمَرَ دَآئِبِينَ وَخَسَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٤).

ويقول عز من قائل : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٥).
ومما يدهش له العقل ، ويحار فيه لبُّ اللبيب ، أن هذه الأرزاق - على كثرتها - ، وتلك الأقوات - على وفرتها - مقدر لها في علم خالقها أن تنفى باحتياجات جميع المخلوقين إلى الآجال المقدرة لهم ولها ، يقول الله - تعالى : ﴿قُلْ إِنكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكُمُ

(١) سورة الملك : ٤٣ .

(٢) سورة الزمر : ٦٢ .

(٣) سورة الأنعام : ١٠٢ .

(٤) سورة إبراهيم : ٣٢ - ٣٤ .

(٥) سورة البقرة : ٢٩ .

رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَانَهَا فِي أَرْبَعَةِ
 أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلْسَائِلِينَ * ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا
 أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ
 سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
 الْعَلِيمِ ﴿١﴾

وما شرطَ الله لاستِدَامَةِ هذه الأرزاق بعدَ الإيمان به وشكره على جزيل
 عطائه سوى اتِّباع منهج الاعتدال في استخدام الموارد المتاحة ، فضلاً عن البعد
 عن الفساد والإفساد ، قال تعالى : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْوُوا فِي الْأَرْضِ
 مُفْسِدِينَ﴾ (٢) وقال : ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا
 وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣) ، وقال تقدست أسمائه :
 ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
 إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤) .

ولكن الإنسان لم يُحسن استخدام هذه النعم ، فضلاً عن تقصيره في واجب
 الشكر عليها ، فظنَّ أن هذا الرزق ماله من نَفَاد ، فاندفع ذات اليمين وذات
 الشمال ، يحقق طموحاته غير المحدودة ، فشرعَ لنفسه مالم يأذن به الله ،
 متخذاً من بلوغ الهدف مبرراً لاتخاذ الوسيلة ، فحدث من جراء ذلك في

(١) سورة فصلت : ٩ - ١٢

(٢) سورة البقرة : ٦٠ .

(٣) سورة الأعراف : ٣١ .

(٤) سورة الأعراف : ٥٦ و ٥٥ .

النظام البيئي من الخلل والاضطراب ما وصل بالإنسانية فى الآونة الأخيرة إلى حد الكوارث ، نتيجة للممارسات الخاطئة ، وسلوك السُّبُل المعوجة ، وعلى الأخص عقب تلك الطفرة الصناعية الهائلة ، وما صاحبها من تقدم تقنيٍّ مُذهِل ، مما حركَ فى النفوس شهوات النهم والجشع ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ ﴾ (١).

ومن صور الإضرار بالبيئة على سبيل المثال لا الحصر ، التلوث البيئي بِمُخْتَلَفِ صوره وأشكاله ، برأً وبحراً وجواً ، وما نتج عن تلك الملوثات من تآكل لطبقة الأوزون الجوى ، إلى حد إحداث ثقب فيها جهة القطب الجنوبي من الكرة الأرضية ، كما تدل التقارير العلمية على أن ثقباً آخر فى هذه الطبقة جهة القطب الشمالى من الكرة الأرضية قد أصبح وشيك الحدوث ، مما نجم عنه اضطراب فى مناخ الكرة الأرضية ، كنتيجة طبيعية لما ينفذُ إلى مجالها من الأشعة الكونية الضارة من خلال هذا الثقب ، كما شهدت الدول الصناعية هطول الأمطار الحمضية التى تصل حموضتها إلى درجة حموضة عصير الليمون ، مما انعكس تأثيره الضار على الحياة النباتية والأحياء المائية فى الأنهار والبحيرات ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ * ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢).

(١) سورة آل عمران : ١٤ .

(٢) سورة الواقعة : ٦٨-٧٠ .

وناهيك عن مشكلة التَّصَحُّر ، تلك المشكلة التي تؤثر تأثيراً مباشراً على الغذاء العالمى ، حيث تتناقص الرُّقعةُ الزراعية العالمية فى الوقت الذى يزداد فيه عدد السكان ، والتصحُّر فى حد ذاته هو المحصلة النهائية والطبيعية لمجموعة الأخطاء والأخطار البشرية ، حيث أدى كل من اضطراب المناخ الناشئ عن ثقب الأوزون والقطع الجائر للغابات ، فضلاً عن هطول الأمطار الحمضية - إلى ظهور تلك المشكلة المُفْجِعة ، أضف إلى ذلك كله ارتباط تلك المعضلات بتفشى الانحرافات الاجتماعية ، فى المال ، والأخلاق ، والعلاقات الدولية ، وما ترتب على كل هذه المفاصد من مشكلة الفقر ، حتى رأينا دولاً عديدة توصف بهذه الصفة ، وقد لا يرصد الكثيرون من المهتمين بأبحاث البيئة مشكلة الفقر كمشكلة بيئية ، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ * فَأَقُمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصْدَعُونَ * مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (١)

ولكى ندرك فداحة الخطب الناجمة عن ظاهرة التَّصَحُّر وحدها ، فإن الإحصاءات تبين أن المعدل السنوى للتصحُّر بلغ ١٥ مليوناً من الأفدنة فى الآونة الأخيرة، كما أن عشرات الألوف من أنواع النباتات والحيوانات قد انقرضت، الأمر الذى دقَّتْ معه نواقيسُ الخطر بشدة ، كما تعالت

(١) سورة الروم ، الآيات من ٤١ - ٤٥

الصَّيْحَاتُ هنا وهناك ، بَحْثاً عن المخرج ، والْتِمَاساً لَطُوقِ النِّجَاةِ - إن كان قد بقى لها طوق - ، مما دفع المستبصرين من سكان الأرض إلى عقد اللقاءات ، وإقامة الندوات والمؤتمرات على مختلف الأصعدة (محلياً وعالمياً) ، كما أنشئت الهيئات ، واستصْدِرَت التشريعات البيئية ، أملاً في لَمِّ هذا الشَّعْثِ ، وتفادياً للمزيد .

وأخيراً وليس بآخر ، تم انعقاد مؤتمر «قمة الأرض Earth Summit» في العاصمة البرازيلية «ريودي جانيرو» كمؤتمر استثنائي نظَّمته الأمم المتحدة لمناقشة جميع مشاكل البيئة والتنمية ، وهو مؤتمر تمتاز فيه العاطفة الإنسانية مع المعرفة العلمية تَجَاهَ بيئة الكوكب الأرضي ، أملاً في وضع الخطط والتصورات التي تسهم في تخفيف حدة هذه المشاكل ، إذا كان التغلب عليها نهائياً قد باتَ أمراً صعبَ المَنال ، ومن قبل ذلك تم عقد قمة «ستوكهولم» في السويد من ٥-١٦ من يونيو ١٩٧٢ م ، ولكنها لم تؤت ثمارها المرجوة من حيث تحسين الأحوال البيئية ، نظراً لوجود ما كان معروفاً بالحرب الباردة بين المعسكر الشرقي (الشيوعي) والغربي (الرأسمالي) .

وإن المرءَ لَيَسْتَوِلِي عليه العجبُ ، وتستبدُّ به الدهشةُ ، وتبلغ به الحيرةُ مداها ، حينما يرى البشرية جمعاءَ تناقش أخطرَ قضاياها على هذا المستوى ، وبكل هذا الاهتمام ، ولكن في غياب أهم عناصرها وأخطر بنودها ، ولا أرأني مُبالغاً إذا قلت : في غياب طوق نجاتها الوحيد ، ألا وهو التصور الإيماني لها ، إن منطق العقلاء يقرر أن صاحب الصنعة أدري بصنعتة ، وأعرف بما يصلحها حالاً أو مآلاً ؛ ولذا فهو يضع لها منهج الاستخدام والصيانة ، فإذا تجاهل مقتنيها هذه الإرشادات ، أو أخذها بمنطق اللامبالاة ، فقد عرَّضها

للتلف والخسران ، والكون كله ، من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة ، هو صنعة الله عز وجل ومنقاد لأمره ، يقول الله تعالى :

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (١) ويقول : ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٢) ويقول : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ (٣) ويقول : ﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٤) . فما على البشرية - إذا أرادت

لنفسها الخير - إلا أن تنضوي تحت ركب الطائعين لله ، وأن تستجيب لداعى الله ، لتحيا الحياة الحرة الكريمة ، الآمنة المطمئنة ، وأن تبرهن على صدق نواياها فى التماس الحلول العملية لجميع مشاكلها ، وفى الصدارة منها مشاكل البيئة ، فى القرآن الكريم والسنة النبوية الطهور الخطوط العريضة لطلاب الهداية والصلاح ، يقول الله تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْعَرَىٰ وَغَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَىٰ يَدَيْهِ تُخْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٥) فلا بد من التأكيد على إبراز الناحية

(١) سورة يس : ٤٠ .

(٢) سورة الإسراء : ٤٤ .

(٣) سورة الرعد : ١٣ .

(٤) سورة الرعد : ١٥ .

(٥) سورة الأنفال : ٢٤ و ٢٥ .

الإيمانية ، فهي كالروح بالنسبة لما عداها من التصورات ، وبدونها فإن أفضل الحلول لا يعدو أن يكون شيئاً من المسكنات .

وبصفتي واحداً من سكان الأرض ، وقاطني هذه البيئة ، ينهل من خيرها ، يغتذى بلبانها ، يمشى فى مناكبها ، ملتصقاً برزق الله فيها ، يهتم لشكايتها ، ويفرح لسلامتها وعافيتها ، موقناً بقول الله : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ ^(١) ، حداً بى كل هذا وغيره أن أكتب فى هذا الموضوع ، وأدلى بدلوى فى الدلاء ، محاولاً الإسهام بكلمة حق فى سجل هذه الحياة الحافل ، آملاً أن يتحقق فى الناس موعود الله إذ يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٢) ، وقد رتبتُ موضوع « البيئة فى الفكر الإنسانى والواقع الإيمانى » على مقدمة وثلاثة فصول ، عالجت فى المقدمة أهمية الكتابة فى هذا الموضوع ، وضمنت الفصل الأول مدخلاً للتعريف بالبيئة وأهميتها للإنسان ، ثم عرضت فى الفصل الثانى جانباً من المشكلات البيئية المعاصرة ، محاولاً بيان أهم العوامل التى أدت إلى ظهورها ، وكذلك الوسائل العلمية والعملية المقترحة للتغلب عليها ، فى حين جاء الفصل الثالث مكملًا ومتمماً لهذه الصورة ، حيث تضمن المنهج الإيمانى فى استغلال مكونات البيئة والتعايش معها سلمياً ، كما ذيلته بنماذج من التطبيقات المثالية ، التى تعكس لنا إمكانية تطبيقه ، حينما تتوفر الثقة بالله ، ويصدق الاعتماد عليه ، فى إطار من الإيمان الصحيح به ، فقد كان هارون الرشيد إذا رأى سحابة فى

(١) سورة طه : ٥٥ .

(٢) سورة الأعراف : ٩٦ .

السماء خاطبها قائلاً : أَمْطَرِي حَيْثُ شِئْتُ فَسَيَأْتِنِي خَرَّاجُكَ .
وهذا حظُّ العاجز وجهْدُ الْمُقْلِّ ، فَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَفَّقْتُ فِيمَا قَصَدْتُ إِلَيْهِ
من عمل ، فذلك فضلُ الله يُوتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى ، فَمِنْ
نَفْسِي وَمِنَ الشَّيْطَانِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

المؤلف

الدكتور عبد الحكم عبد اللطيف أحمد الصعيدي

أستاذ الحشرات الاقتصادية

كلية الزراعة - جامعة الأزهر

القاهرة - ضاحية مدينة نصر

في المحرم ١٤١٣ هـ

الموافق يوليو ١٩٩٢ م